Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حضور الغياب:

أما وقد أُحضرَ الغائب، فإن لنا كلمة نختم بها هذه الدّراسة. أقول: لو كان نصّ درويش واضحا في مبناه ومعناه، دون أن يحمل هذا التّحدّي القرائي، لبات كلاما عاديّا غير قادر على إثارة ما أثاره فينا، أما وأنه قد أخفى وراءه معاني غير مباشرة، فذلك أعجب لغيابه، وأدعى لمحاولة إحضاره، فيكون إحضار النّصّ الغائب ذا قيمة خاصّة للنّصّ الحاضر، قيمة تفوق الحضور، وإن اعتمدت عليه، حيث يصير الغياب جزءا جوهريّا في جسم النّصّ، وفي تكوين دلالاته وتأثيراته، من حيث يصبح النّصُّ إشارةً حرّةً غير مقيّدة، فتنشأ الاجتهادات القرائية على وفق الاستجابات الثّقافيّة والمعرفيّة والذّوقيّة[٣٠].

وتبقى القصيدة بعد هذا وذاك مفتوحة على تأويلات شتّى، تطرح أسئلة، وتقيم حوارات، وتفتح الآفاق واسعة، أمام تساؤل العقل المتوثّب: فهل كانت ريتا معادلا موضوعيا أو فنيا للحلم اليهودي في إسكات الفلسطيني، ومحاولة مسح ذاكرته لينسى الماضي؟ وإذا كانت كذلك، فهل هي معادل موضوعي مطابق تماما للمغتصب، أم أنها تلتقي معه في شيء وتفترق عنه في شيء؟ هل كانت ريتا قناعا حمّله الشاعر ما أراد قوله؟ وهل أراد درويش أن يوحي بأنّ اليهود هم الذين رتّبوا أمور " البيت الفلسطيني "، دون أن يكون للفلسطيني دورٌ في ذلك؟ وهل... وهل... وهل....؟

لقد ظهرت ريتا في صور مختلفة وأحيانا متناقضة في القصيدة: فمرّة كانت تظهر متعاطفة مع بطل القصيدة ومضحيّة من أجله، وأحيانا كانت تظهر وكأنّ حلمها يتقاطع مع حلمه.